مجلة الرائد

العدد : ٢٢٩ الموافق في ربيع الآخر ١٤٢٢ هجري ٢٠٠١/٧ ميلادي

عنوان المقال : أم رائعة	الكاتب : لطيفة زروال

يؤلمني حالها .. ويؤلمني أكثر عجزي عن مد يد المساعدة إليها . بكبريائها ، بعزة نفسها .. قد يعتقد البعض أنها متكبرة ومتعجرفة .. لا تطاق .. ولكنها ليست كذلك ، إنها طيبة .. وطيبة جداً .. ولكنها لا ترضى بالشفقة ، حالتها المادية ضعيفة ، ولكن القليل يعرف ذلك ، فهي تحاول - وتنجح - في إخفاء حاجتها ، فإذا رأيتها وبناتها الثلاث .. لن يتبادر إلى ذهنك أنها قد تبيت أياماً دون طعام إلا من خبز وإبريق شاي .. تحافظ على نظافة ملبسها ، ونظافة بناتها .. والغرفة حيث تقطن رغم صغرها وقلة ما فيها من أثاث ، غرفة نظيفة وجد مرتبة .. أزورها مراراً .. وقد تمكنت من خلال زياراتي أن أتعرف عليها أكثر وأن أكسب ثقتها وحب البنات الذي لا يضاهيه حب ، كنت قد سمعت من بعض النساء أنها مطلقة منذ أعوام ، وكان حديثهن معي حتى أتجنبها ، فقط لأنها مطلقة ووضعية المطلقة في مجتمعنا موضوع آخر أتركه لفرصة أخرى ، ولكن بعد زيارات متعددة ، وبعد أن تعرفتْ علي جيداً ، أخبرتني أنها ليست مطلقة ، ولم تسع إلى التطليق على الرغم من أن زوجها تخلى عنها منذ أعوام ، وهاجر إلى بلد العم سام بحثاً عن المال ، وانقطعت أخباره عنها ، وقد حاولت العثور عليه ولكن دون جدوى ، عائلة زوجها نبذتها لعدة أسباب : لأنها لم تنجب إلا البنات ، ولأنها اعتبرتها المسؤولة عن هجرة ولدها وغيابه وعدم مراسلتة لهم .. وأسرتُها رفضتها لأنها اشترطت عليها لقبولها التخلي عن بناتها :

- هل هناك أم تتخلى عن أولادها ؟! كيف يمكنهم أن يطلبوا مني ذلك وما ذنب بناتي ؟! أسرة زوجي نبذتني لأنهن بنات .. وأسرتي تطالبني بالتخلي عنهن لأنهن بنات .. تصوري .. تصوري .. ونحن المسلمين هناك بيننا من يعارض أمر الله، ويرفض ما منحه الله من نِعَم .. إن البنات نعمة لا يحس بها إلا من فتح قلبه لله .

أحسست بألمها .. ومعاناتها ، حاولت مساعدتها مادياً ولكنها خاصمتني أسبوعاً بسبب ذلك .. فاستسلمت وقبلت باختيارها ..

- أريد أن أربي بناتي بنفسي ، حسب إمكاناتي .. لا أحتاج إلى مساعدة مادية ، لقد تعلمتُ ودرستُ ، وحصلت على شهادتي .. وإن كنت بعد زواجي قد اخترت منزلي والتفرغ له ولزوجي وتربية بناتي .. إلا أنها الآن نفعتني .. فبفضل هذه الشهادة حصلت على عملي هذا .. طبعاً الأجرة قليلة لا تكفي ، ولكنني راضية وقانعة بما قسمه الله لي ، وأحمده على ذلك وعلى أن منحني بناتي

عنوان المقال : أم رائعة	الكاتب : لطيفة زروال

توقفت قليلاً عن الكلام ثم استرسلت بعد تردد :

- ولكن .. يمكنك مساعدتي بطريقة أخرى ..

كانت سعادتي بلا حدود حينما سمعتها تنطق بهذه الكلمات .. فأسرعتُ بالقول :

- كيف ؟ .. كيف ؟ أخبريني .. أنا مستعدة لكل شيء ..

ابتسمتْ بلطف وجلست قربي بعد أن صبَّت لي كأس شاي :

- بناتي .. أريدك أن تساعديني في تعليمهن .. أريدهن متعلمات ، متفوقات .. فالمدرسة وبرامجها لا تكفي وليست دائماً كما يجب ، وأنا مع العمل أقصر في متابعة تعليمهن في البيت ..

أجبتها بسرعة مخافة أن تتراجع عن طلبها ..

- بالطبع يمكنني ذلك .. بل أحب أن أفعل ذلك ..

- بعد أن سافر زوجي (يزداد إعجابي بهذه الزوجة الأم يوماً بعد يوم ، فرغم أن زوجها تخلى عنها ، وكان سبباً في الظروف الصعبة التي تعيشها ، إلا أنها حينما تتحدث عنه تتحدث بكل احترام فتقول « سافر » بدل « تخلى عنا » وتقول للبنات « والدكُنَّ » بدل استعمال اسمه ..) أصبحت أكثر إيماناً بأن التعليم ضروري ، خاصة للبنات .. الكثير من الآباء والأمهات يرفضون تعليم بناتهم خوفاً عليهن ، والحقيقة أنهم متى أحسنوا تربية بناتهم وتحاوروا معهن واستمعوا إليهن ، ولم يقللوا من شأنهن .. متى حصَّنوهن وأكسبوهن مناعة أمام المغريات ، وأبعدوهن عن النزوات والأخطاء .. فالخطر ليس في التعليم أو الخروج للمدرسة أو الجامعة ، إنما الخطر في سوء التربية أو عدم التربية ، الخطر في اللامبالاة والإهمال ..

أكدتُ لها استعدادي ورغبتي في مساعدتها ، فَتَمَتَّنَتْ علاقتي أكثر ببناتها .. واكتشفت من خلال جلساتي التعليمية معهن أنها حقاً أمٌ رائعة قد أحسنت تربيتهن ..